## من تراب الطريق (٣٤٥) أقدار ! (*)

فى ١٧ سبتمبر ١٩٥٩ ، تقدمت إلى منطقة تجنيد الإسكندرية ، يحدونى الأمل فى أن أعود إلى مكتب أبى بشبين الكوم لأستأنف معه العمل بالمحاماة التى بدأت أولى خطواتها منذ حلف اليمين أمام المستشار محمود عبد اللطيف ـ يرحمه الله ـ فى ١٩/٨/١٩٥٩ .. ولأنه سبق أن أجريت فى الأربعينيات عملية فتق إربى ، واستجد آخر فى الناحية المقابلة ، ارتأى الدكتور الفاحص الأول بالقومسيون الطبى أنى غير لائق للخدمة العسكرية .. ومكثت فى انتظار تصديق رئيس القومسيون قرابة ثلاث ساعات طفق الأمل يداعبنى فيها أن ألحق بديزل العصارى إلى طنطا ، ومنها إلى شبين الكوم .. ولكن رئيس القومسيون وأذكر أنه كان يومها الدكتور كمال عطيه رفض التصديق وأشر بأننى لائق ، وعليه انتقلت فى غمضة عين من القومسيون الطبى إلى معسكر الاستقبال بذات معسكرات مصطفى باشا التى كان فيها منطقة تجنيد الإسكندرية .

كنا دفعة من المؤهلات العليا .. التقانا يومها ضابط برتبة مقدم ، دفعه إشفاقه علينا من صدمة الانتقال السريع من الحياة المدنية إلى الخدمة العسكرية الشاقة بأوامرها الصارمة ، إلى أن يتباسط معنا ونحن جلوس

(*) المال ٢٢/١٠/٢٠٠٩

أمامه على الأرض ، ناصحًا حتى نتأقلم بلا آلام ـ بأن نترك شهاداتنا على الباب قبل دخول المعسكرات .. فحضورها النفسى سيجعل الاستجابة للأوامر العسكرية ومصدريها عملية عسيرة إذا ما ظلت الأمور محكومة فى داخلنا بفوارق الشهادات !

وسرعان ما أدركت حكمة نصيحته .. فقد تسلمنا بعد دقائق رقيب لا زلت أذكر أن اسمه عزازى .. جمعنا حوله فى صورة مربع ناقص ضلع ، وأمام أكوام من المهمات التى كان علينا أن نتسلمها لنخلع الزى المدنى ونرتديها .. فجعل يسلمنا صنفًا صنفًا وينادى : هل كل عسكرى معه (٤) مناديل ، فنجيب «أيوه» .. فينادى : هل مع أحد ثلاثة ، فنجيب «لا» .. فيكرر : هل مع أحد خمسة ، فنجيب «لا» .. فينادى : «تانى» .. أى ضع المناديل بعد التأكد من عددها فى «المخلاة» التى تسلم كل منا واحدة له منها .. ظللنا على هذه الحال نحو ساعتين حتى فرغنا من الاستلام وملء «المخلاة» بالملابس العسكرية الجديدة التى كان لابد من تقييفها لتناسب مقاس وطول كل منا .. كان الغروب قد زحف حينما استطعت أن أستأذن من الرقيب عزازى ليسمح لى بالمبيت بالخارج لصباح اليوم التالى الذى كان علينا أن نسافر فيه بالقطار لترحيلنا إلى منطقة تجنيد القاهرة ..

بدا لى يومها أننى قد وقعت من شاهق .. كنت قد خطبت منذ ٣٠ أكتوبر ١٩٥٨ أثناء الليسانس ، تداعبنى آمال عريضة فى سرعة التهيؤ لإتمام الزواج بعد أن جاءت الأيام الأولى مبشرة فى المحاماة لى جوار أبى الذى كان ـ رحمه الله ـ واحدًا من عظمائها .. تخرج عام ١٩٢٥ فى ذات

كلية الحقوق جامعة القاهرة التى تخرجت فيها إبان أن كان اسمها مدرسة الحقوق الملكية .. استقبلنى ـ رحمه الله ـ واستقبلتنى المحاماة بترحاب ، واقترب الأمل فى عقد القران .. ثم إذ بى فجأة جندى مستجد ، يرتدى «أوفرأول» مهرول يحتاج إلى تقييف كبير بلغة العسكر ، وحذاء بيادة ثقيل .. أقف فى طابور صباح ١٨/ ٩/ ١٩٥٩ أمام الرقيب عزازى ليقودنا من معسكرات مصطفى باشا إلى محطة سيدى جابر يحمل كل منا «مخلاته» سيرًا على الأقدام التى جعلت تدق على الأسفلت ، تطالعنا العيون الفضولة من على المقاهى والأفريز ، وأخرى تطل علينا من شرفات ونوافذ المنازل المصطفة على جانبى الشارع .. على محطة سيدى جابر ، جلس كل منا على «مخلاته» .. ومكثنا نحو ساعة ونصف قبل أن نركب درجة ثالثة فى القطار القشاش الذى يقف فى جميع المراكز ، حتى وصلنا إلى محطة باب الحديد نحو الخامسة ، ومنها إلى قطار آخر من محطة كوبرى الليمون .. أمضى مع رفاق الجندية رافعين على الأكتاف «مخلاة» كل منا ، مارين على الأقدام فى ذات الميدان الذى سبق أن شاهد عياقة الشباب التى كنا نتخايل بها أيام الدراسة .. ولكن فى محطة النزول بالزيتون كانت المفاجأة الأكبر .. لم يجد الرقيب عزازى اللوارى التى كان مفروضًا أن تقلنا من المحطة إلى منطقة التجنيد التى تبعد عدة كيلومترات .. لم يكن هناك بد من أن نقطعها مشيا فى طابور حاملين مهماتنا ننوء بوزنها وبثقل الأحذية البيادة التى لم نتعودها .. حتى استقر بنا المقام بمعسكر استقبال القاهرة بعد أن سلمنا الرقيب عزازى إلى رقيب آخر ، لتبدأ رحلة جديدة

استمرت فى القوات المسلحة سبعة عشر عامًا حتى تركتها آخر ١٩٧٦ بناء على طلبى لأعود إلى المحاماة التى عشقتها وعشقتنى وأمضيت فيها عمرى !

لم تكن الرحلة هيّنة المسار .. بدأتها فى بطارية تدريب المدفعية فى ألماظة ، ومنها بعد أيام إلى اتحاد المدفعية الرياضى ، لأمارس فيه التنس والسباحة .. وأكتشف أن صرامة الجندية والأقدمية لا تفارق العسكريين أينما كانوا .. الحاكمدار لأى فريق هو الحاكم الآمر الإله .. نبدأ يومنا كل صباح بالكنس والرش حول حمام السباحة الذى كنا نتدرب به فى عز الشتاء ، ونخوضه بعد تفريغه فى نهاية الأسبوع لتنظيف أرضياته وجوانبه بالفرشاة .. لا زلت أذكر مداعباتنا وزميل الدفعة بحقوق القاهرة وائل عباس فهمى السفير بالجامعة العربية فيما بعد .. وكيف كان الحاكمدار الباشجاويش عبد الحفيظ يناديه «واكل» بلهجة الصعيد .. كانت أيام.. جرت بأقدار لم تكن فى الحسبان .. من الجندية بعد عام ، إلى ثمانية أشهر بالغة المشقة فى دفعة الجامعيين بالكلية الحربية ، ومنها إلى الكتيبة الثانية المشاة باللواء السابع بالعامرية ، ليبدأ الطائر رحلة فى القضاء العسكرى استمرت ستة عشر عامًا مليئة بالأحداث والذكريات قبل أن يعود الطائر إلى عشه وينطوى فى معشوقته المحاماة !

*****